العيد الفضي لجامعة فؤاد الأول

نظرة جديدة لرسالة الجامعة

للأستاذ [illegible] زريق

وافق اليوم السابع والعشرين من شهر ديسمبر ١٩٥٠ عيد ميلاد جامعة فؤاد الأول الخامس والعشرين فكان عيداً حقاً يتيه بجماله وجلاله على سائر الأعياد ، شرف حفله مولانا حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول — حفظه الله — وفي صحبته رجال العلم والأدب والدين من مصريين وأجانب وممثلي الجامعات الأجنبية الذين حضروا خصيصاً لهذه المناسبة السعيدة ، بدعوة خاصة من حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف العمومية والرئيس الأعلى للجامعة .

بدأ الاحتفال في العاشرة صباحاً بقاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة بكلمة خالدة لمعالي الدكتور طه حسين باشا ألقاها بين يدي جلالة الفاروق المحبوب ، وأقول إنها خالدة لما تضمنته من سرد تاريخ إنشاء الجامعة والمراحل التي مرت بها والذين عملوا في تدعيم بنائها منذ أن أسسها المغفور له الملك فؤاد الأول ١٩٠٦ ، وتعهدها بالرعاية والرعاية إلى أن صارت حكومية سنة ١٩٢٥ . وبعد أن أشار معاليه إلى أنه أول ثمرة من غرس جامعة فؤاد الأول نمت بفضل جلالة الفاروق في إنشاء جامعة بالاسكندرية تحمل اسمه الكريم ، ثم جامعة محمد علي في أسيوط ، ثم جامعة ابراهيم بالقاهرة . وفي تشجيع جلالته للناجحين والمتقدمين طلبة وأساتذة .

وتلا معالي الوزير حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد كامل مرسي باشا مدير الجامعة بكلمة جامعة أشاد فيها بأثر الجامعة في الجهود الثقافية والاتصالات الفكرية بين مصر

وسائر الدول الأخرى . ثم قيم صفة تزويد الجامعات بالدرجات المختلفة من دكتوراه وماجستير [illegible] [illegible] في الجامعات الأجنبية .

* *

[illegible] الجامعة السورية [illegible] [illegible] من قرن من الزمان على تأسيس الجامعة [illegible] [illegible] [illegible] يشقر [illegible] ونظرة تقدمية إلى أهداف الجامعة الراشدة [illegible] من البيئات الثقافية [illegible] التي تطورت فيها الدراسات الاجتماعية والاقتصادية [illegible] [illegible] في أساليب السياسة والحكم والاقتصاد والحياة [illegible] . ولا شك أننا نعتز كل الفخر من أجل ما حققته الجامعة في خلال [illegible] من آثار فكرية [illegible] ولا نزال نعتقد بهذه الآثار من صورة ممتازة في تكوينها [illegible] في مستوياتها [illegible] تعكسه من نهضة تشمل جميع مناحي حياتنا . وإذا كنا قد بدأنا نصعد سلم الرقي ونمضي قدماً في طريق التطور الثقافي ، فيجمل بنا أن [illegible] في سبيل تحقيق الرسالة الجامعية في خير الوجوه .

عالم القيم

ذلك أن أهم وظيفة جامعية ، تسبق الوظائف الأخرى ، هي تعديل القيم الاجتماعية ، وتنظيم [illegible] السلوك الأخلاقي ، فالناشئة تقتبس أساليب سلوكها وقيم أخلاقها من البيئات [illegible] [illegible] أهدافها وتحقيق آمالها [illegible] المؤسسات الاجتماعية المتباينة من [illegible] [illegible] أهدافها [illegible] [illegible] معينات ، فالجهالة [illegible] القيم النظرية [illegible] التي تقضي إلى إشباع الرغبات والأهواء [illegible] بحدود الأنانية الضيقة والأثرة المتفشية [illegible] العصبية الأسرية والتفاخر [illegible] [illegible] النفعية التي تقر أساليب الاستغلال [illegible] [illegible] وما إليها . أما [illegible] [illegible] تتجلى في القيم الجوهرية المبنية على [illegible] [illegible] الفكري [illegible] [illegible] [illegible] عاطفة إنسانية تشمل مشاعر الأخوة [illegible] والاستقلال [illegible] [illegible] العدالة [illegible] [illegible] وقيم الإيثار [illegible] [illegible] ، والفن والإبداع .

[illegible] [illegible] القيم في [illegible] [illegible] [illegible] الأزرق [illegible] من ضعف في

ما توفر صيانتها وضبطها في محتوياتها ، تقف الجامعة كمؤسسة علمية اجتماعية كبرى لترسي قواعد الشخصية على دعامات الأخلاق في أسس الحرية والاستقلال المدعمين بأساليب البحث ، والنقد والتجريب ، لا على أسس الخرف والخضوع والتقليد ، لأن التكامل الخلقي الحر يبنى على الحرية والتفكير الموضوعي والملكات والعبقريات في ميادين النشاط المختلفة .

ومن هنا ينبغي أن تدعم فكرة استقلال الجامعة الداخلي ، وأن تدعو إلى النهضات العلمية المستمرة بمساهمتها في تبسيط العلوم ونشر الآراء التي يدور حولها رقي الشعب وتطوره .

الجامعة منبع التطور

وإن ما يجب أن تعنى به الجامعة — وديدنها هو السعي الصادق الحق المجرد — أن تجعل البرامج منصبة على خلق « العقلية العلمية » أو « طريقة التفكير الصحيح » فالدراسة الجامعية منبع البحث قبل أن تكون برنامجاً ، وطريقة للتفكير قبل أن تكون حشواً تعليمياً . إن أخطاءنا الكبرى في معاهدنا تنحصر في اهتمامنا بالكم لا الكيف ، ولعل يقظة الوعي العلمي اليوم قد ميزت لنا بين المعرفة التي لا نفع لها ، والمعرفة التي يقوم نفعها على تأثيرها في النفس والعقل معاً ، وهي المعرفة التي لا تستند على التلقين وحفظ الذاكرة بقدر ما تعتمد على أسس التفكير الصحيح من تعمق في المشاهدة والتجريب والبحث والاستنتاج المنزه عن الغرض والبعيد عن التحزب والهوى . ومن هذه الوحدة العقلية في التفكير تستطيع الجامعة أن تخلق أهلاً للرأي ، وتقارباً للفهم ، وشغفاً بالعلم ، وتعاوناً في العمل . إن « العقلية العلمية » هي نقطة التحول والتطور التي تبدأ منها الجماعات والأفراد لتفيق من سباتها ، وتستحث خطواتها ، وتتابع نهضاتها الحيوية .

العلم للعلم

إن الفكرة الجامعية قد أشاعت في الكثيرين روحاً وثابة للعلم وطلب العلاء ونيل أكبر قسط ممكن من الثقافة ابتغاء للفهم والإدراك ، وصنعت من هذا الشغف ما يرفع نفوسهم فوق أدران المادة ، وما يحلق بأرواحهم فوق المغامرات الرتيبة ، وينقلهم إلى مغامرات أمتع وأوفر وأسمى ، فيها يتفاعل العقل مع تراث الحضارة الإنسانية ، وتندمج العاطفة بالتأمل

المتبع في آداب الأعلام وقضت أتفاده من كل جيل . فإننا لنجد أساتذة أجلاء قد جاوزوا الأربعين وقد التحقوا بالجامعات في الدراسات العليا ، لا لشيء مادي يبتغون ، وإنما لينهلوا من منابع الحكمة ويغترفوا من معين المعرفة وكأنهم في محرابها رهبان يصلون أو قديسون يتهجدون . ومن هنا ينبغي أن تفتح الجامعات أبوابها للجميع ، ليستمع إلى محاضراتها المشغوف المتيم بالعلم بغير ضرورة لأن تمنحه إجازتها الجامعية ، وبهذا تجتذب الجامعة بين الكاسدة والملكات المطمورة وتثير تفاعل المواهب الراكدة للانتاج والابتكار .

العلاقة بين الأستاذ والطالب

ذلك مما نحب فيه من تقدات وما نصادفه من عثرات بصدد الدراسة الجامعية . فإننا إذ نفخر أن الجامعة قد خرجت عدداً من الشباب الحرّ المفكر الذي يفتخر بتلمذه على أساتذة الجيل من أمثال لطفي السيد وطه حسين وعلي ابراهيم ومصطفى مشرفه وأمثال هؤلاء الأعلام الأفذاذ الذين كانت شخصياتهم الجامعية تحيا في أفكارهم السامية وفي مواقفهم الرائعة ، وفي مثلهم العليا ، قبلما كانت تبرز في علمهم أو فنهم ، نقول إن أهم صورة للتأثير الجامعي إنما تتمثل في العلاقة بين الأستاذ والطالب ، لأنها علاقة حب وعلم واقتداء ، علاقة فكرة ورأي وروح . وطالب اليوم يعوزه الأب الروحي ويفتقد المرشد الأمين . وشباب اليوم يعيش في فوضى من الفكر ومن التيارات المتنازعة ، والعوامل المتضاربة الهادمة ، وهو يرنو ببصره إلى ربان أمين يقود سفينة حياته وسط الأنواء والعواصف . فمن أحق من الأستاذ الجامعي بهذه القيادة التعليمية والروحية ، ومن أجدر من المرشد الجامعي بدعم هذه العلاقة السامية ؟

في يقيني إن تأدية هذه الأمانة ، بإخلاص وحب ، كفيل أن يوجه الشباب وجهات صحيحة ويفرد الكفايات لخير الوطن ونهضته . ومن أجل ذلك وجب أن تعيد الجامعة النظر في تدعيم نظام الأساتذة المشرفين ، كما تأخذ به كثير من الجامعات الأوروبية والأمريكية ، وأن تعمل على تكوين تقاليد عريقة ثابتة تمكن الطلاب من توكيد صلاتهم بأساتذتهم حتى بعد التخرج .